المؤتمر الدولي للغة العربية وآدابها بمكة المكرمة ـ فندق هيلتون مكة للمؤتمرات
خلال الفترة ١٣ـ١٥ جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ

المتقابلات الدلالية في ديوان " الرحيل إلى منبع النهر لفاروق شوشه "
ثنائية الفرح والحزن

دكتورة . مثيبه الهذلي
أستاذ مساعد بجامعة الباحة – قسم اللغة العربية

mm1400f@gmail.com

المؤتمر الدولي للغة العربية وآدابها بمكة المكرمة ـ فندق هيلتون مكة للمؤتمرات
خلال الفترة ١٣ـ١٥ جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ

المتقابلات الدلالية في ديوان " الرحيل إلى منبع النهر لفاروق شوشه "
ثنائية الفرح والحزن

دكتورة . مثيبه الهذلي
أستاذ مساعد بجامعة الباحة – قسم اللغة العربية
mm1400f@gmail.com

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي الأمي، محمد – صلى الله عليه وسلم- أما بعد

تُعد الدراسات النقدية الحديثة، من أكثر الدراسات شأنا من غيرها، لما تواكب من الفكر النقدي المتغير، والمتبدل بحسب تطور القضايا النقدية، وتُعد ظاهرة الثنائيات أحد أهم هذه الدراسات، والتي لا ينفك منها نص شعري حديث، ولم تكن هذه الظاهرة وليدة الأدب الحديث، ونتاجه، بل كانت بامتداد التاريخ الشعري العربي عبر العصور، ولكن الجديد هو تكاثف هذه المتقابلات النقدية، وتماهيها مع النص العربي الحديث.

ولهذه المتقابلات الدلالية ظروفها التي انتجتها ، ففي خضم الأحوال السياسية والاجتماعية التي مرّت بها الأوطان العربية ، أصبحت النفوس تحمل بين جوانبها تناقضات العاطفة ، وتدفن في عمقها عواطف مشتعلة بين الحرب والسلام ، وبين اللقاء والفراق ، وبين الانتصار والهزيمة ، فتشكلت صور درامية تحكي الصراع العاطفي الداخلي ، والذي أظهره الشاعر العربي على شكل متقابلات دلالية تشبع التناقضات العاطفية التي تعتريه من فينة لأخرى تبعا للأحوال التي يمر بها سواء سياسية أو اجتماعية ، كما ذكرنا ، وفي هذا المجال وجدت الشاعر فاروق شوشة مندمج الحضور في تمثيل هذه الصور وعرضها كمشاهد درامية في شعره ، ولضيق مساحة البحث كما تستلزم مناسبة

عرضة اخترت ديوانا من دواوينه لأناقش من خلاله هذه المتقابلات الدلالية واسلط الضوء على جزء من مقابلاته الدلالية ،

وركزت على فرحه وحزنه ، وما انتجه ديوانه من مشاهد وصور تحكي هذا الصراع الدرامي ، والذي يمزجه بالطبيعة تارة ، وبساحات الحروب تارة أخرى ، وكل هذه المشاهد تجري أحداثها في إطار الوطن ، وكان لي من المنهج الوصفي التحليلي مساحة أنطلق من خلالها في هذا البحث ، وقدمت بمقدمة توضح مسار هذه المتقابلات الدلالية عبر العصور الأدبية ، وإن لم يكن الحديث وافياً ، وقد يصعب في مثل هذه الدراسات ، ولكنه يعطي مفتاح لتاريخ هذه المتقابلات النقدية ، تجعل لباحث آخر مجالا للبحث والاطلاع .

الكلمات المفتاحية : فاروق، الرحيل إلى منبع النهر، المتقابلات الدلالية ، الفرح والحزن

مقدمة

تعتبر ظاهرة المتناقضات التي تحفل بها الحياة وتمثلها تلك الثنائيات في القصيدة العربية واحدة من أهم الظواهر (الفكرية ـ الفنية) ، وهذه الصورة الفنية هي لون من ألوان التعبير يحمل في طياته أفكار الشاعر ووجدانه، ويشمل عناصر التشكيل المختلفة للقيام بدورها في بناء الصورة التي تكتسب فنيتها ، كلما كانت أقرب إلى المجاز منها إلى الحقيقة دون إغفال لما يجب أن تحمله من بعد نفسي وجمالي، فالعمل الفني كل متكامل يضم البلاغي والنفسي والجمالي أو الفني وغيرها، وهي بعد ذلك يمكن قراءتها ورصدها في التجربة الشعرية البارعة في شعرنا العربي بشكل عام ، وقد تميز فيها الشعر الحديث كثيراً [1].

ولهذه الظواهر الفنية وظائف دلالية وجمالية تبرز وعي الشاعر، كما أن لها وظيفة درامية أيضا، حيث أن هذه الثنائيات تثير الصراع، مما يعمق البنية الفكرية، ويثير الجدل والصراع بينها، مما يجسد الوظيفة الجمالية للنص.

ومن المؤكد أن هذه الثنائيات تثير دهشة المفارقة حين يجمع الشاعر بين المتضادين في بيت واحد أو شطر واحد، أو قصيدة واحدة، فكما يتعايشان في الحياة كذلك في القصيدة، وليس بالشرط أن تظهر هذه الثنائيات صريحة اللفظ، فقد يكون معنى مختبئ بين السطور.

وهناك الوظيفة المعرفية التي تبنى على معرفة الشيء ونقيضه، فهذه المعرفة إذ توفر لنا إمكانية المقارنات والمقابلات بين الأشياء، وهذه المعرفة تكسبنا التصور المعرفي والاستنتاج، وبالتالي معرفة السلب والإيجاب بينها:

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد.

[1] جدوع، عزة محمد :البيان "دراسة في الانزياح الدلالي"،ط٢٠٠٤،١م،مكتبة الرشد ،ص ٤٩.
[2] ديوان الهذليين، ط٣، دار الكتب والوثائق القومية بمصر ، ٢٠٠٣، ص ٢.

وقد امتلأ الشعر العربي القديم بمثل هذه الثنائيات وبالأخص الفرح والحزن، لأنها حياة الإنسان تقوم على هذه العواطف والأحاسيس، منذ الأدب الجاهلي، يقول أبو ذؤيب الهذلي في رثائه الشهير لأبنائه، حين خطفهم الموت في عام واحد:[٢]

أودى بنيَّ وأعقبوني حسرة بعــد الرُّقـــادِ وعبرةُ لا تقلع

فالرقاد لا يأتي إلا لعين قرير البال مرتاحة، أمّا أمثال الشاعر الذي عانى الفقد، فليس له من الليل إلا السهر والبكاء، فربط مدلول الفرح والراحة بالرقاد، وقابلها بلفظة التحسر والدموع.

ويقول أبي فراس الحمداني في قصيدة " دعوتك للجفن:[٣]"

ومـــا أنا إلا بين أمرٍ وضِـــــدّهِ يُجدَّد لي في كل يـــــــومٍ مجدَّدِ

فمن حُسِ صبرٍ بالسلامة واعدي ومن ريب دهرٍ بالردى مُتوعّدي

إلى أن يقول:

ولكن أنِفْتُ الموتَ في دار غربةٍ بأيدي النصارى الغُلفِ ميتة الكمد

فلأتترك الأعداء حولي ليفرحوا ولأتقطع التّسآل عنّـــــي وتقعد

فيقابل بين فعل النصارى والذي أماته كمد وبين فرحهم فيما يفعلونه فيه ، فهو شاعر أُسر في أيديهم ويرتجي من يأخذ بثأره وينصره.

ويقول البحتري في سينيته الشهيرة:

عَمَّرَتْ للسرور دهراً فصارت للتعزّي رباعُهُم، والتآسّي

هذا بالنسبة للعصر العباسي، والشعر الذي تطرق لمثل هذه الثنائيات كثير.

وحين نأتي للأدب الأندلسي فسنجد الشعر الذي امتزجت فيه دموع الحزن، بالفرح، وموضوع رثاء المدن أكثر النماذج إيضاحا، يقول ابن خفاجة:[٤]

فما خفق أيكي غير رجفة أضلعٍ ولا نوحُ ورقي غير صرخة نادب

فاهتزاز الأيك إنما رجفة أضلع دلالة على الخوف أو التألم أو المرض، ونوح الحمام يقابل في مدلوله الصرخات من نادب يندب.

ولابن زيدون، في نونيته أوضح الأثر:[٥]

---

[٣] شرح ديوان أبي فراس الحمداني، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت-لبنان، ص ٩٥

[٤] ابن خفاجة: ديوان، ط ال قاهرة١٢٨٦، وطط مكتبة صادر، بيروت ١٩٥١

[٥] د/ أبو شادي، أحمد زكي، ديوان زينب ، ١٩٢٤، ص١٩.

وإذا وصلنا إلى العصر الحديث نقرأ شعر حافظ إبراهيم في البؤس والشقاء وأحزان بدر شاكر السياب كما نجد أبو شادي يمثل هذه الثنائية في فرحته بوجود من يحب بجانبه، فأنينه مسموع، وغناء العود يذهب هذا الهم والحزن فيطرح أحزانه عنه، ويؤدي صلواته، وكأن الصلوات في تأثيرها النفسي من الفرح وانطراح الأحزان تقابل الشجن والأنين،

يقول في " الحلم الصادق[٦] "

هــات لي العود وغني واسمــعي شجوي وأنّي
تطرحي الأحزان عنّي فـــــأؤدي صـلواتي

وهذه المقدمة الموجزة عن نماذج من الشعر العربي منذ عصوره الأولى تدل على معرفته الواسعة بمثل هذه الثنائيات، لأنها أساس الحياة –كما وأن أسلفنا-

وفي هذا البحث أخترت شاعراً من العصر الحديث وجدت مثل هذه المتقابلات الدلالية بيئة خِصبة في شعره، فناقشها في إطار العاطفة الوطنية بما فيها حب وحرب، وسلام وأمان، وتشرد وغربة، وما يمليه عليه عالمه من تناقضات عاطفية ولدت مثل هذه المتقابلات، وقد عرضها بشكل مباشر تارة، وبطريقة غير مباشرة تارة أخرى، وقد ناقشت موضوعي هذا بما تمليه على الدراسات النقدية من وصف وتحليل، وعرض لبعض النماذج الشعرية، ومناقشتها وتحليلها.

والله أسأل التوفيق والسداد...

الباحثة.

الشاعر فاروق شوشه من الشعراء الرومانتيكيون الذي نهجوا منهجاً يخاف أسلافهم، فمجدوا العاطفة، وجعلوا حقوق القلب تطغى على قوانين المجتمع ونظمه، ولم يتحفظوا في مهاجمة ما استقر في المجتمع من عقائد سياسية أو دينية فكان في كل شيء في أدبهم موضع تساؤل، ولكنهم في شبوب عاطفتهم ساعدوا على نشر العدل الاجتماعي، وعطفوا على كثير من ضحايا المجتمع وبكوا على ما فيه من مآسي[٧]. والوطن هو المسرح الأكبر لمآسي الإنسانية ، وغربته مشاعرها ، وتبدل فرحها حزنا وشاعرنا من الذين ظهر في شعرهم حب الوطن ، ويتأرجح شعره فيه بين الفرح و الحزن ، والذي يعبر عنه بالغناء تارة والترانيم ، وبالبكاء والحداد تارة أخرى ، وهذا ديدن الشعراء الرومانسيين ، خاصة حين يعبر عن جزء من روحه ، وقطعة من كبده ، وهو الوطن ، ويعبر عن مشاعره حول حب الوطن ، تعبيراً يأخذ شكل الفرحة الصادقة أو النداء الحماسي أو البكاء الحزين ، نجده يتأرجح بين حالتي الرضا و الحزن كما يحس

[٦] د/ أبو شادي، أحمد زكي، ديوان زينب ، ١٩٢٤، ص١٩.
[٧] د/هلال، محمد غنيمي، الرومانتيكية، ط ٦، دار العودة-بيروت ١٩٨١، ص ٢٦.

شاعرنا فقد الأمل حول الوطن ، والاستسلام إلى حالة من اليأس والحزن ، وفي هذه السمة نراه يستعين «المتقابلات الدلالية أداةً للتعبير المباشر تارة ، والغير مباشر عن يأسه ، ولكنّ هذه المتقابلات الدلالية لا تخلو أيضاً من روح الحماس ، والتي يعبر عنها بمفردات الغناء ، والشدو ، والطرب والصفاء.

وتُعد ثنائية الفرح والحزن من الثنائيات الهامة في تجربة شعراءنا العرب، وذلك لما مرت به بعض الأوطان العربية من حالات التناقض المعيشي في تحويراتها السياسية، فلا استقرار يدوم، ولا حرب تدوم، وشاعرنا في هذا البحث فاروق شوشه عبّر عن هذه الثنائية بشكل مباشر تارة واضحة، وعن طريق المفردات المرادفة لمعنى الفرح والحزن، أو الصفات والحالات التي تدل عليهما الشاعر يقول في نصه " مولاي الشعر"[٨]،

يقول: هل تبصر ما يحدث للشعراء الآن؟

الشعراء

الإخوان الأعداء

الثنائية تتجسد هنا بإيرادِهِ ببعض المتقابلات الدلالية حيث يقول الشعراء الأخوة الأعداء، وهذا النقيض إنما ينقل صورة السعادة الذي يمثلها جو الأخوة المجتمعين على كلمة واحدة، مما يولد الأمن والاستقرار، ومن ثم راحة البال والسعادة، أو العداوة وما تشعل في النفس من الضغينة والغضب مما يولد الحسرة والألم والاضطراب النفسي، مما يجعل الحزن يستوطن النفوس.

ثم يتوسل الشعر ويقف في محرابه طالبا المؤانسة والأمانْ:

وأنا المستغرق في ذاتك

في عسجد صفوك

إلى أن يقول:

أبحث عن سر فيك يشاغلني

عن وجه منك يؤانسني

ثم يشكي حاله لمولاه الشعر ويطلب منه الأمان الموجود فقط في ساحاته، وتحت جناحه:

العش الآمن يا مولاي لديك

وزاد

وهوى طلق

إلى أن يقول!

[٨] الديوان، ص١٠
[٩] الديوان، ص ٨
[١٠] السابق، نفسه، ص ٩.

وكأني طير مغترب

قد كف لديك عن الطيران الراحة كمن عاش في كنف وطنه آمن مرتاح البال، فهو وإن كان في أمن مولاه إلا أنه يشعر بالغربة والألم، ومكان توسله من مولاه سوى محاولة للحفاظ على ما تبقى من أمنه واستقراره.

ثم في النص نفسه يشرح بعضا من الحال الذي يمر فيه الشعراء، فهم كما يقول أعداء أخوة[١١]:

فلكل إله طائفة

ولكل صلاة قربان

وصفوف تتصادم ذاهلة

وترانيم مُخبّلةُ

فالصفوف المتصادمة تحضر صورة المعارك والصدامات بين الجيوش دائما، وفي المقابل تلك الترنيم التي تدل عبى الفرح والسعادة، ولكنها ترانيم مخبلة[١٢] ملأي بالحزن، ومثقلة به.

يقول الشاعر في نص " باسم الشهداء[١٣]"

والسماءُ التي تراجَع عنها صفاؤها

تتوارى خلف الركام، فينداحُ

النشيجُ الحبيسُ ملْءَ صدور الناسِ

في قصيدة المطر لبدر شاكر السياب[١٤] يشبه المطر بالدموع فيقول:

أتعلمين أي حزن يبعث المطر؟

وحين وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر؟

المتقابلات الدلالية غير واضحة، إنما مختبئة خلف المعنى البعيد حيث صفاء السماء الذي توارى واختفى، والنشيج المسجون في صدور الناس، فإذا كان النشيج يدل على البكاء والألم والحسرة، فصفاء السماء الذي اختفى كان يجلب الفرح للنفوس، والشاعر في هذا النص يكثر من المتقابلات الدلالية من بينها الموت والحياة الصمت والصدأ، والجلجلة والانهيار، ولكنه يركز على مفاتيح السعادة في النفوس ويربط ذلك بموعد ليوم الشهيد تغرد فيه الدنيا ويزهر الربيع، يقول من النص نفسه[١٥]:

باسم ربيع هلّ

ويوم حلّ

---

[١١] السابق، نفسه، ص ١١

[١٢] مخبل يقل خبله الحزن. معجم العين، مادة خ ب ل ص١٦

[١٣] الديوان، ص١١.

[١٤] ديوانه " أنشودة المطر " ، ضمن مجموعته الكاملة المجلد الأول ص ٤٧٤ . دار العودة - بيروت - ١٩٩٧

[١٥] الديوان ، ص ٢٢-٢٣

وجلّ

وأمل غاب طويلاً

وفي النص نفسه يقابل بدلالات لفظية مباشرة بين الحزن والفرح في اندماج عاطفي درامي يدمي القلب يقول في النص نفسه أيضاً[١٦]:

الجمع توّحد في عرس

توقده شموع الشهداء

والجمع توحَّد في لحنٍ

ترتجُّ له كل الدنيا

ويرفرف فيه الشعراء

ورؤوس تعلو شامخةً

فوق الأحزان السوداء

فاللحن السعيد الذي ترتج له كل الدنيا يقابله حزن وألم أسود لا تتجاهله النفس أبداً.

ومن المتقابلات اللفظية المباشرة في النص نفسه يقول:

فأوان الفرحة جاء

تسّاقط ورْداً

وشباباً مثل الورد

إلى أن يقول:

من أجل الشعب الجائع والعاري

والمطحونين الفقراء

والممرورين التُّعَساء

الفرحة لدى الشاعر كالورد المتساقط، وأرواح الشهداء كذلك غاية في الرقة، أمّا أحوال الوطن التي من أجلها سقط هؤلاء الشهداء فهي مرّ وتعاسة في الوقت نفسه.

[١٦] الديوان ، ص ٢٣

وفي قصيدتِهِ "أمدُّ يداً، ونمدُّ يدا"[١٧]، يعبر الشاعر عن ثنائية "الحزن ـ الفرح"، بشكل مباشر، وواضح أيضاً، وذلك بقوله:

وها

أوقدوا من مشاعلكم هينماتٍ

وصوغوا لنا من بشاشتكم أغنياتٍ

إلى أن يقول:

حين تدسون في ساحة النصرِ

أزمنةَ القهر

فالزمن الذي جرعهم القهر والألم والحزن ، سوف يُداسُ في ساحة النصر ، وهنا يعبر الشاعر بالنصر بدلاً من قول ساحة المعركة باعتبار ما سيكون من النصر ثقة من الشاعر بنفوس اللذين يذودون عن وطنهم ، ثم إنه قدم إشعال نار النصر فرحاً بقدومه والاستهلال بالقصائد والأغنيات التي سوف تصنعها تلك البشاشة التي يملكها يقينهم بالنصر وتقديم مظاهر الفرح قبل النتيجة ، بل وتوقع أجمل النتائج هو تفاؤل من الشاعر بالنصر وانتهاء زمن القهر ، والتقابل بين البشاشة والقهر تقابل غير متكافئ عاطفيا فالقهر أشدّ إلآم من الحزن أو البكاء ، أما البشاشة فهي صفة يُتميز بها من يديم الابتسامة ،وفي ذلك معنى عميق يشير له الشاعر أن النصر من الأمور السهلة الحدوث كبشاشة وجوههم.

وفي نص "اخلع نعلك"[١٨]يعبر الشاعر عن الفرح والحزن لفظاً لا معنى، ولكنّه أتى بدلالات على الفرح والحزن، يقول:

في صهد[١٩]اللحظاتِ المؤتلقة

تصعد أرواح نشوى منطلقة.

تتماوج في هسهسة اللحنِ

وفي إيقاع نشيد الحلم

ففي أشدّ اللحظات ألماً، ونجد بالمقابل روح نشوى تنطلق من بين هذا الألم وترقص على إيقاعات ونشيد حلم، فالضدان هنا حالة درامية، ولكنّها في مرحلة صراع فحين تنصهر اللحظات المؤتلقة ويمرّ القلب بأشد اللحظات ألماً، تعيش الروح دور الفرح والنشوة والرقص والانطلاق، وكأنها حالة من الجنون، وفي باقي النص ما يشير إلى أسباب هذا الصراع الدرامي.

[١٧] الديوان ، ص ٢٩-٣٠
[١٨] الديوان ، ص ٣٦.
[١٩] اشتد وحمي ، معجم العين مادة ص ه د ، ص ٢٩٧

وتأخذ الثنائية عند فاروق شوشة في الغالب الدلالات الغير مباشرة على الفرح والحزن، فتأتي دلالات المفردات إما نتيجة الفرح والحزن أو من مسببات الفرح والحزن، ولكن الفرح كما لحظنا في بعض النماذج يأتي باللفظ الصريح " الفرحة "، أما الحزن فيأتي بدلالات كثيرة كالقهر، والنشيج، والأم الثكلى يقول من نص" اخلع نعلك "أيضاً[٢٠]:

هذي أم ثكلى تستودع أرض الميدانِ

حُشاشتها.

تتعوّذ باسم اللهِ

وتقسمُ لن تتحرّك

حتى يأتي يوم الثأر

ويسقط تحت الأقدام عدوُّ الله

هذه الأم استودعت الله ابنها في ساحة المعركة لكنّ يقينها أن النصر قادم لا محال لا يفارقها، وفي المقابل[٢١]:

في الركن الأقصى من قلب الميدان

يُنشد شاعر

وتُغنّي كوكبة ذابت في وقد الإحساس

هذا المشهد الدرامي لصراع الفرح والحزن يتفقان في الإحساس بالنصر، فالأم ثكلى أي أنها جربت الفقد والألم ولكنّها ماتزال تبتهل لله بالنصر، وتتأمله، كذلك الشاعر ينشد أناشيد الحماس لتهيج نفوس الشجعان ليثبتوا في أرض المعركة فهنا تندمج دلالات الحزن والفرح لتتماهى في رؤية واحدة، وغاية واحدة وهو الحماس لبدء المعركة والشعور بنشوة النصر مقدماً.

أما في قصيدته "بيروت " [٢٢]فإن الشاعر يعبر عن هذه الثنائية بشكل غير مباشر، أي عن طريق استخدام مفردات تدل على حالتي الحزن والفرح، كقوله:

وبيروت أم وبيروت مهد

وبيروت ثلج وبيروت صهد

وبيروت جسر وبيروت حدّ

وبيروت لينُ وقبض وشد

ثم يقول:

وبيروت للبغي ردٌّ وصدُّ

وفي وجه كل الأباطِل سدُّ

وبيروت عرس وبيروت مجد

[٢٠] لديوان ،ص ٣٩.
[٢١] الديوان ، ص٤٠
[٢٢] الديوان ، ص٤٤

تتوالى المتقابلات من أول هذا النص إلى آخره، يوضح بها الشاعر أن الحياة متغيرة ومتبدلة خاصة في بيروت فلأحوال تبعث الفرح والأمل والتفاؤل تارة، وأخرى الحزن واليأس والتشاؤم، ولبيروت تراث غني في الشعر والنثر يعبر عن حكمة الحياة هذه المبنية على النقيضين: الفرح والحزن.

ونقرأ في النص نفسه ثنائية تعبر بشكل غير مباشر أيضاً، أي عن طريق استخدام مفردات تدل على الحزن والفرح، يقول: [٢٣]

مـــاذا جنيتم بأحقاد تمـــزقكم ورسمكم في فضاء الريح ممقوت
اليوم تأتون، والإكليل في يدكم وكان في يدكم بالأمس تابـــــوت

ثم يصرّح بالبكاء والحزن:

هنالك في زمن قد مضى
زمن لن يعود
وقد كنت أبكيكِ
كل محبيكِ يبكون
كنت أردد محترقا كالرماد
ومتشحا بالحداد

فمفردة البكاء تدل على الحزن، ومفردة "الحب " تدل على الفرح بشكل غير مباشر، كذلك مفردة "الحِداد" التي تدل على أيضا على الحزن الشديد.

وربما تثير هذه المتقابلات التساؤل عن إمكانية الفرح في عالم مليء بالحزن والآلام، أو كيف يعيش المرء لحظات الفرح والسرور وليس هناك ما يساعد على ذلك، وكيف يستطيع الإنسان في بيروت أن يُظهر فرحه وقلبه مليء بالحزن والهم، فوجدانه يغص بالمآسي؟

وتكثر الأسئلة لدى فاروق شوشه والتي تعبر عن اللوعة والحزن، بل وتعطينا صورة ترصد مآسي بيروت وأحزانها التي سببها التشرد بسبب الغربة والبعد عن الأوطان، يقول في " بيروت": [٢٤]

ويمعن في سفه وارتجال
ونحن نعاين رجع الصدى
تتكسر فيه النضال
تلك بيروت أم؟

[٢٣] الديوان ، ص ٤٩
[٢٤] الديوان ، ص ٥٣.

مزق من قمر

وقلوب حجر

وبقايا خبر

ورصيف على البحر

ناء بأحزانه

فانكسر

وفي المقابل هناك من يشدو بما يطرب بيروت ويفتح لها الأمل والتفاؤل، يقول:

بيروت فيروز تشدو في مسامعنا صوت السماء، له في القلب تصويت

ويستمر المقطع في هذا النص في وصف فيروز وسحرها الذي يربت على أصحاب الهوى، وهو وطن غال ومقدس، عبر عن إصرار الشاعر وقدرته في المواصلة على حب الحياة وإخصابها وبث روح التجدد في مفاصلها، كما تعبر عن الروح الغيرية التي يتمتع بها:

وفي نص " الرحيل إلى منبع النهر"[٢٥] يقابل الشاعر بين معنى الفرح والحزن كثيرا، فبعض المدلولات كانت غير مباشرة حين يقارن من بقاء المخاطب الراحل والذي أمدّه بالفرح والسعادة، وبين رحيله الذي خلف له الأسى والحزن، وفي مواضع أتى باللفظ الصريح يقول:

وأنت الطبيب الذي أرتجيه لتفكيك يأسي

يحدثني عن شقاء الأناسية في كل أرض

وعن كوكب ليس فيه من السعداء

سوى الأغبياء

يبدو أن يأس الشاعر من عودة هذا الغائب، وعدم إحساسه بالسعادة جعلته يرى أن السعادة لا يشعر بها إلا الأغبياء، وربما قصد الشاعر من كان مغيب العقل عما يحدث في العالم من مآسي الإنسانية وشقاءها.

وفي نص " صور ريفية "[٢٦] تأخذ هذه الثنائيات والمتقابلات الدلالية منحى آخر، حيث تتمثل مفردة الحزن والفرح بمظاهر الطبيعة، يقول:

تنسكب الشمس فتندلع الألوان

وتصبغ وجه الدنيا

فتشب حرائقها في الجرن الغافي

ملء صباح الفتنة

[٢٥] الديوان ، ص ٦٠
[٢٦] الديوان ، ص ٧٦

والأحزان

تمثل الفرح في انسكاب أشعة الشمس، وتشعل حتى مواقد النيران، ولكن الصباح رغم ما فيه من كل مظاهر الفرح إلا أنه صباح مفتون ومحزون.

ثم المشهد التالي من النص نفسه تمثل الفرح في النهر، يقول:

اقتربوا يا أصحاب

ويا رفقه هذا الزمن الخالي

نقتحم النهر،

ونلقي فيه مرارة أعوام جدباء

والمرارة هنا مدلول لهم القلب وحزنه، وفي المقابل الماء الذي هو منبع الحياة، ومنبت الزرع، وبه يدب في الكائنات روح الحياة، ورونقها، ولذلك وجده الشاعر ملاذا لأحزانهم، فبدلا من أن يدفنوا حزنهم وشقاءهم في التربة دفنوها في النهر حتى تشع بالحياة أرواحهم مرة أخرى ويرويهم النهر بعد عطش الجدب والأسى.

ويستمر الشاعر في إخفاء الفرح ومظاهره خلف مدلولات تشير إليه من بعيد يقول في نص:" عندما يرحل عني: "[٢٧]

أي فجر لم يزل يرنو، وأرجو مطلعه
صوب السهم لقلبي وهو يدري موضعه
موغلا، يختار في أعماق صدري موقعه
ومحال أن أداري وقعه أو أنزعه
ماله الليلة يبكيني ويخفي أدمعه
هل هو الحب الذي يروي حكاياتي معه
أم هو النجم الذي بين سمائي أطلعه
أم هو اللحن الذي عودني أن أسمعه
أم هو الصفو الذي ودعني إذ ودعه

وكالعديد من النصوص الشعرية في ديوان فاروق شوشه يتضح مدى القدرة الشعرية والبراعة في تطويع اللغة واستخدامها استخداماً فنياً مجازياً موحياً، كذلك قدرته على بناء الصور المليئة بالدراما والحكايات والقصص، والتي يعبر عنها بصور، التي تقابل بين المجرد والمحسوس، كقوله: "الحب الذي يروي": "فالارتواء" ظاهرة حسية، و"الحب" ظاهرة مجردة، ونستدل من هذه الصورة الإيحائية طاقة عاطفية عالية تبين مدى علاقة الشاعر بأوطانه، فهو إن فقده فقد الحب والأمان والفرح.

ثم يأتي الفرح والحزن صورة لعملة وادة – في ازدواجية تشكل حالة من القلق والعذاب لفاروق شوشه يقول في الجمال الحزين[٢٨]: "

[٢٧] الديوان ، ص ٨٧.
[٢٨] الديوان ، ص ٩٤

خلف هذا القناع، ينساب عطر
وزمان ولوعة، وشجون
وحياة تراكمت،
فإذا وجهك ضوء مباغت، ويقين
لفتةٌ منكِ كالنسائمِ تنهلُّ
فينداح في المدى الياسمين
وترف الورود،
والأمل الموعود
واللحن،
والشذا والغصون

وكأن الشاعر أراد أن يقول إن ما يجري في هذا العالم من تغيرات وتبدلات إنما هو جمال يرتدي قناع الحزن.

وفي الختام فهذه الثنائية بين دلالات الحزن والفرح والتي لها حضورها الواضح في ديوان فاروق شوشه ، الذي نحن بصدده" الرحيل إلى منبع النهر " قد عبّر عنها شوشه بأساليب بارعة الطرح ،ورؤى وأشكال متنوعة وعديدة، وكانت مباشرة تارة وغير مباشرة تارة أخرى ، ويصورها بصراع درامي يصور مدى ألم الصرخة الإنسانية التي يعيشها المشرد والمغترب داخل وخارج وطنه ، وهذه المتقابلات تأتي أحيانا مندمجة حد التماهي مع بعضها البعض لتشكل مزيجا من العواطف المتناقضة ، لما تعيشه الإنسانية من حقائق لا تخفى ، وبالمقابل لا يملك كشاعر إلا الجهاد باللسان ، وأجمل صور هذا التماهي حين يضع المدلولين الفرح والحزن في إطار الطبيعة.

ويمكن القول في خاتمة هذا البحث بأن هناك الكثير من الثنائيات الأخرى غير التي ذكرناها كالموت والحياة ، والجفاف والمطر ،والروح والجسد والحرب والسلام ، واللقاء والفراق ، إلاَّ أن ما اقتصرنا على توضيح جانب بسيط منه وهو ثنائية الفرح والحزن ، لأن الشاعر ماهي بين هذه الدلالات ومظاهر الحياة كلها فارتبطت الطبيعة بالفرح والحزن ، وارتبط الموت والحياة بالفرح والحزن أيضا ، وهكذا ، وليكفي مثل هذا البحث مناقشة موضوع قد يبدو واضحا وسلسا ، ولكنّه كما تملي علينا الدراسات النقدية واسع المجال فضفاض ، وقد نجد في دواوين الشاعر الكثير من مثل هذه المتقابلات الدلالية ومن دواوينه " أبوابك شتى " ، و" ينفجر الوقت " وغيرها .

المراجع

١- شوشه ، فاروق ، ديوان : الرحيل إلى منبع النهر ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ٢٠١٢

٢- ديوان البحتري ، مجلد١، دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت١٩٨٠

٣- د/ الركابي ،جودت : في الأدب الأندلسي، دار المعارف،د،ت

٤- جدوع، عزة محمد: البيان " دراسة في الانزياح الدلالي" ط١ ، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية ٢٠١٤

٥- شرح ديوان أبي فراس الحمداني ،من التراث العربي ،دار مكتبة الحياة – بيروت-لبنان، د، ت

٦- هلال ،محمد غنيمي :الرومانتيكية ،ط٦،دار العودة –بيروت١٩٨١

٧- ديوان الهذليين ، ط، ج ١-٣،القاهرة –دار الكتب والوثائق القومية،٢٠٠٣

٨- ابن منظور: لسان العين، طبعة جديدة محققة ، المجلد٥ ، دار صادر-بيروت